الدين الخالص

أو

إرشاد الخلق إلى دين الحق

وهو آخر كتاب وضع أصله الشيخ الإمام محيي السنة ومميت البدعة
صاحب الفضيلة والإرشاد المرحوم السيد

محمد محمد خطاب السبكي

المتوفى فى الرابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ — ٧ يوليو سنة ١٩٣٣ م
عمه الله تعالى بالرحمة والرضوان وأسكنه عالى الجنان

عنى بتنقيحه وتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه وضبط الآيات والأحاديث
وترقيمها وبيان حالها وغريبها ومراجعها خليفة الشيخ الإمام المرحوم السيد

أمين محمود خطاب

المتوفى فى السابع والعشرين من ذى القعدة ١٣٨٧ هـ — ٢٦ فبراير ١٩٦٨ م
رحمه الله رحمة واسعة وجعل قبره روضة من رياض الجنة وحشره مع الصالحين
وقام بتصحيحه والإشراف عليه نجله فضيلة إمام أهل السنة السيد

يوسف أمين خطاب

الطبعة الرابعة : ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

حقوق الطبع محفوظة له

الدين الخالص

أو

إرشاد الخلق إلى دين الحق

وهو آخر كتاب وضع أصله الشيخ الإمام

محيي السنة ومميت البدعة صاحب الفضيلة والإرشاد المرحوم السيد

محمود محمد خطاب السبكي

المتوفى في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ — ٧ يوليو سنة ١٩٣٣ م

عمه الله تعالى بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان

الجزء الأول

عني بتنقيحه وتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه خليفة الشيخ الإمام السيد

أمين محمود خطاب

المتوفى في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٨٧ هـ - ٢٦ فبراير سنة ١٩٦٨ م رحمه الله رحمة واسعة وعمه بالرضوان وحشرة مع الصالحين

حقوق الطبع محفوظة للمكتبة المحمودية السبكية

أشرف على هذه الطبعة المعدلة حفيد المؤلف

دكتور

عبد العظيم حامد خطاب

الطبعة الخامسة سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

تمتاز بضبط الآيات والأحاديث وترقيمها وبيان حالها ومراجع النصوص العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، المنفرد بتشريع الأحكام ، فليس لغيره تعالى تشريع حتى سيد الأنام ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام . وأشهد أن لا إله إلا الله القائل فى حق رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) الأعراف عجز آية ١٥٨ (وَمَا ءاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) الحشر عجز آية ٧ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل « من يُرد الله به خيراً يفقّهه فى الدين»[١] [١] والقائل « بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سنتى فليس منى »[٢] [٢] صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .

أمَّا بعد : فيقول محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكى (سبك الأحد : مركز أشمون منوفية) قد فشا فى الأزمنة الأخيرة الزيغ فى العقائد التوحيدية ، والتعبد بالبدع المضادة لسنة خير البرية ،صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فيعتقد) أحدهم عقيدة زائفة (فإذا) نهيته عنها يقول لا أرجع عنها إذ هى العقيدة السلفية (ويتعبد) ببدع الملحدين « وإذا » نهاه مؤمن عن ذلك وأرشده إلى العمل بالشرع الذى شرعه رب العالمين على لسان رسوله الأمين « قابله » بقوله : هى بدع استحسنها

---

(١) صدر حديث أخرجه أحمد والشيخان عن معاوية بن أبى سفيان. ص ٩٣ ج ٤ مسند أحمد . وص ١٢١ ج ١ فتح البارى (من يرد الله به خيرا يفقهه) .

(٢) أخرجه الخطيب عن جابر . وفى سنده ضعف لكن له طرق ترفعه إلى درجة الحسن . انظر رقم ٣١٥٠ ص ٢٠٣ ج ٣ فيض القدير .

الشيخ فلان والشيخ فلان ، ويذكر أشخاصاً من المتساهلين فى دينهم من متأخرى المقلدين « والسبب » فى ضلال أولئك الجهلة « زَلة » بعض المنسوبين للعلم المتعرّضين للتأليف ، حيث سطروا فى تآليفهم بعض العقائد الزائفة ، واستحسنوا بعض البدع المضادة للشرع الواردعن رسول اللهصلى الله عليهوعلى آله وسلم. وينسب نفسه إلى مذهب أحد الأئمة رضى الله تعالى عنهم ، فيعتقد الجاهل أنَّ تلك العقائد والبدع قالها هذا الإمام . ولم يفقه أن جميع الأئمة المجتهدين متبرئون من كل عقيدة فاسدة وبدعة فى العبادة . وقد قالوا لأصحابهم : خذوا العلم من حيث أخذنا . أى من الكتاب والسنة . وقالوا : نحن بريئون ممن يخالف الكتاب والسنة . وقالوا : ليس لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنّ الله لم يجعل لأحد معه كلاما ، وجعل قوله يقطع كل قول . وقال الشافعى فى رسالته : إذا وجدتم قولى يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاعملوا بقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واضربوا بقولى عُرض الحائط . وقال مالك رحمه الله: من استحسن بدعة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة . وقال : ما لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ديناً لم يكن اليوم ديناً وغير ذلك . (والأدهى) أنك لو أرشدت أحد أولئك المقلدين- التقليد الأعمى- إلى العمل بالشرع الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وترك البدع ، هاج وماج وأشاع وأذاع أنك تريد إبطال المذهب الذى نسب نفسه إليه بهتاناً وزورا . وصاح أمثاله بذلك معه ويشتدّ منهم الجدال والنزاع الذى يناسب حالهم ويتعصبون تعصب الجاهلية الأولى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون « ومن شدّة » عمى البصيرة « دعواهم » على من تمسك فى قوله وعمله بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجانَبَ البدع « أنه ضل وأضل » وخرج على مذاهب المسلمين ، وأحدث الفتن والشحناء بين المؤمنين .

(فدعانى) ذلك إلى وضع كتاب أبيّن فيه عقيدة المؤمنين وكيفية العبادة التى شرعها رب العالمين أمراً ونهياً وتقريراً وعليها الأئمة المجتهدون ، ذاكراً دليل كل مسألة من الكتاب أو السنة أو إجماع الأئمة ، ليكون المتعبد على بصيرة تامّة من دينه ، ويخلع ربقة التقليد من عنقه . وقد ذكرت بعد كل حديث مَن أخرجه من الأئمة ، وبينت حاله من صحة وحُسْن وضعف غالبا ، وأردت بالشيخين البخارى ومسلما ، وبالثلاثة أبا داود والترمذى والنسائى ، وبالأربعة الثلاثة وابن ماجه ، وبالخمسة الشيخين والثلاثة ، وبالستة الشيخين والأربعة ، وبالسبعة أحمد والستة . وبالجماعة مالكا والسبعة ، وسميته « الدين الخالص » أو « إرشاد الخلق إلى دين الحق » والله أسأل أن ينفع به النفع العميم . وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم . وسبباً للنجاة والفوز « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » وهو حسبى ونعم الوكيل .

مقدمة

على العاقل أن يعلم أن يعلم أنّ جميع أئمة المسلمين على هُدى من ربهم ، ولا همّ لأحدهم إلا الوصول إلى الحق الصحيح ، وبيانُه بالدليل الصريح ، وإرشاد الناس إليه وحثهم على التمسك به والاعتصام بحبله . وتنفيرهم من البدع التى حذر منها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيما رواه العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال : صلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم . ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرَفتْ منها العيونُ . ووجِلت منها القلوبُ . فقال قائل يا رسول الله : كأن هذه موعظةُ مودّع فماذا تعهدُ إلينا ؟ فقال : أُوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا

كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومُحدَثاتِ الأمورِ ، فإنّ كلَّ محدَثَة بدعةٌ وكل بدعة ضلالةٌ . أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه والدارمى والترمذى وقال حسن صحيح(١) [٣] .

وما إلى ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة فى ذمّ البدع وأنها ضلالة «فمن» زعم أنَّ بعض البدع فى العبادة قد تكون حسنة « فقد أخطأ » وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن كل بدعة ضلالة ولفظ «كل» موضوع للأفراد . فمعنى الحديث: أنّ كل فرد من أفراد البدع ضلالة . وموضوعه العبادة كما علمت « ومن ادّعى » أنّ الحديث دخله التخصيص بحديث « من سنّ فى الإسلام سنةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عملَ بها من بعده من غير أن ينقُصَ من أجورهم شىء . ومن سنّ فى الإسلام سنةً سيئة فعليه وزرُها وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه عن جرير بن عبد الله(٢) [٤] .

« فدعواه » باطلة لأنّ الحديث إنما ورد فى الحث على مكارم الأخلاق العادية التى بها ارتباط القلوب واتفاق الكلمة والقضاء على أسباب التباغض والنفور ،

---

(١) ص ١٨٨ ج ١ – الفتح الربانى . وص ١٠ و ١١ ج ١ سنن ابن ماجه (اتباع سنة الخلفاء الراشدين) وص ٩٧ ج ١ مستدرك (كل محدثة بدعة .) وص ٤٤ ج ١ سنن الدارمى (اتباع السنة) وص ٢٤ ج ١ تيسير الوصول (الاستمساك بالكتاب والسنة) .

(٢) ص ٣٥٧ ج ٤ مسند أحمد . وص ٢٢٦ ج ١٦ نووى مسلم (العلم) وص ٤٦ ج ١ – سنن ابن ماجه (من سن سنة حسنة أو سيئة) .

وأيضاً فإنّ الاستنان فيه ليس المراد به الاختراع . وإنما المراد به العمل بما ثبت بالكتاب والسنة النبوية . وذلك لأنّ سبب الحديث هو الحث على الصدقة المشروعة . فقد قال جرير بن عبد الله : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى صدر النهار فجاءه قومٌ حُفاة عُراة مجْتابى النمارِ متقلِّدى السيوف عامتُهم بل كلُّهم من مُضَرَ فتمعَّر وجهُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذَّن وأقام فصلى ثم خطب فقال : (يٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) الآية ، والآية التى فى الحشر : (اتَّقُوا اللهَ ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) تصدّقَ رجل من درهمه من ثوبه من صاع بُرِّه من صاع تمره ، حتى قال ولو بشقّ تمرة . فجاءه رجل من الأنصار بصُرة كادت كفُّه تعجزُ عنها بل عجزت . ثم تتابع الناسُ حتى رأيتُ كُومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجهَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتهالل كأنه مُذْهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من سنّ فى الإسلام (الحديث) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى[1] [٥] . (قال) الشاطبى : فتأمّلوا أين قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من سنّ سنة حسنة ؟ تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه حتى أتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال « من سنّ فى الإسلام . . . » الحديث . فدل

---

(١) ص ٣٥٨ ج ٤ مسند أحمد ، وص ١٠٢ ج ٧ نووى مسلم (الحث على الصدقة) وص ٢٥٠ ج ٢ تيسير الوصول . و (مجتابى) أى لابسى (النمار) جمع نمرة بفتح فكسر وهى كساء من صوف مخطط . و (كومين) بفتح الكاف وضمها : أى صبرتين من طعام . و (مذهبة) كمرسلة : أى مستنيرة صافية .

على أنّ السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابى . وهو العمل بما ثبت كونه سنة[١] .

(وأما) البدعة التى قسموها إلى حسنة وغيرها فهى اللغوية (ومن المعلوم) أن البدع ليست من الدين ، فكيف يتقرّب بها إلى الله عز وجل . وهل يصح من عاقل أن يعبد الله تعالى بغير ما شرع ؟ وأن سنة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم هى فعله وقوله وتقريره . وأن ما تُرِك مع قيام المقتضى فتركه سنة وفعله بدعة . كالأولى والثانية يوم الجمعة تركهما النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع قيام المقتضى وهو التشريع . فتركهما سنة (وكذا) الترقية بين يدى الخطيب ورفع الصوت حال السير مع الجنازة وسائر البدع فى العبادة . تركها مطلوب شرعا لأنها ضلالة يجب البعد عنها (وقد) أجمعوا على أن كل بدعة حدثت رُفع مثلها من السنة ؛ لحديث غضيف بن الحارث أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال . « ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة » أخرجه أحمد بسند جيد[٢] [٦] .

(وقال) عبد الله بن الديلمى « بلغنى أن أولَ ذهاب الدين تركُ السنة يذهبُ الدين سُنة سُنة كما يذهب الحبلُ قُوّة قوّة » أخرجه الدارمى[٣] [١] .

(فالمطلوب) ممن يريد حفظ دينه من الضياع وسلامة عقيدته من الفساد ، ألا يركن إلى أى كتاب ادّعى صاحبه استحسان أى بدعة فى العبادة أو مال إلى

---

(١) ص ٢٣٩ ج ١ ـ الاعتصام (ليس المراد بالحديث الاستنان بمعنى الاختراع) .
(٢) ص ١٩٤ ج ١ ـ الفتح الربانى (التحذير من الابتداع فى الدين) .
(٣) ص ٤٥ ج ١ سنن الدارمى (اتباع السنة) .

عقيدة فاسدة ، وإلا ضل وخاب ، وغرق فى غياهب التباب . هذا ، والمعلوم أن الدين هو ما أوحاه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : وأنه مأمور بتبليغه من غير تغيير ولا زيادة ولا نقص قال الله تعالى « وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى » (٣) « إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى » (٤) النجم . وقال : « يٰأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » (٦٧) المائدة. وقال : «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» (١١٢) هود . وقال « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ »(١٢٨) آل عمران . وقال : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » (٤٧) الحاقة[1] وما إلى ذلك من الآيات الناطقة بأنه لا مُشرّع إلا الله تعالى . (ولو أدرك) المتعرضون للتأليف ذلك ما قالوا بتحسين أى بدعة سيما وأن كل بدعة مردودة بقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أخرجه الشيخان وأبو داود عن عائشة . وفى رواية لمسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد[2] » [٧] .

(ولو عقلوا) أن الأحكام لاتثبت إلا بدليل من الكتاب أو السنة (ما أثبتوا) شيئاً من هذه المخالفات فى كتبهم . (وإذا) كانت البدع ليست من الدين فما الدليل على حسنها؟ (وهل) الدين كان ناقصاً فكمل بالبدع التى ليست منه؟ألم يبلغهم قول الله عز وجل : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى

---

(١) أى لو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم ، أو المعنى انتقمنا منه بالحق ، فاليمين على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى- (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل الحق . والوتين ، عرق بالقلب يتصل بالرأس إذا انقطع مات صاحبه .

(٢) ص ٢٥ ج ١ تيسير الوصول (الاستمساك بالكتاب والسنة) .

وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً (٣) المائدة[1] ؟ أم بلغهم ولم يفقهوه ؟ أم اعتقدوا أن الدين الذى شرعه الله سبحانه وتعالى كامل ولكن البدع أكمل منه ؟ فلذا تركوا العمل بالكثير منه وعكفوا على العمل ببدعهم ، وغفلوا عن قول ابن مسعود رضى الله عنه « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله رجال الصحيح[2] [٣] .

الدين

يجب على كل مكلف أن يعتقد اعتقاداً جازما أن الله تعالى أرسل جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام بالإسلام وهو الدين الذى لا يقبل الله تعالى غيره . قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) (١٢٨) البقرة . وقال : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٦٧) آل عمران. وقال حكاية عن سيدنا سليمان (أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) (٣١) النمل . وقال : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ) (١٩) آل عمران . وقال : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٨٥) آل عمران. أى ومن يطلب غير دين النبى محمد

---

(١) قال طارق بن شهاب : قالت اليهود لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنكم لتقرءون آية لو أنزلت فينا لاتخذناها عيداً . فقال عمر : إنى لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة فى يوم جمعة يعنى (اليوم أكملت لكم دينكم) أخرجه الخمسة إلا أبا داود [٢] ص ١١٥ ج ١ تيسير الوصول (سورة المائدة) .

(٢) ص ١٨١ ج ١ مجمع الزوائد (الاقتداء بالسلف) .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فهو فى الآخرة من الخاسرين ، ولا يخرج من النار أبد الآبدين ، لأنّ الله تعالى جعل شرعه ناسخا لجميع الشرائع .

هذا . والدين يطلق على الطاعة وعلى الطريقة الثابتة والملة المتبعة ، فهو يشمل الشرائع كلها . فإذا صدّق العبد بكل ماجاء به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو مؤمن (والإيمان) لغة : التصديق القلبى ، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) أى بمصدق ، وشرعا التصديق بكل ما جاء به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم واعتقاده اعتقاداً جازما ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، والتصديق بالأوامر والنواهى كافتراض الصلاة وتحريم قتل النفس المعصومة والزنا « روى » أبو ذرّ أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر » أخرجه أحمد والشيخان والترمذى[1] [٨] .

(والإسلام) لغة الانقياد والاستسلام . ومنه إيمان الأعراب الذين قال الله تعالى فيهم (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (١٤) الحجرات ، لأنهم تلفظوا بكلمة الشهادة بلا تصديق (وشرعاً) انقياد ظاهرى مع اعتقاد باطنى بكل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلم من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة والصوم والحج .

---

(١) ص ٥٣ ج ١ ـ الفتح الربانى . و ص ٢١٩ ج ١٠ فتح البارى (الثياب البيض) و ص ٩٤ ج ٢ نووى مسلم (من مات لايشرك بالله دخل الجنة) وذكره تيسير الوصول بلفظ آخر ، ص ١١ ج ١ .

فكلٌّ من الإيمان والإسلام المنجيين لا ينفك عن الآخر . وكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن ،لأنّ المصدق ذلك التصديق للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لابدّ أن يكون خاضعاً لما جاء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم . والخاضع هذا الخضوع لا بدّ أن يكون مصدّقاً ذلك التصديق .

هذا . وقوام الدين ثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان . وقد بينها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى حديث عمر رضى الله عنه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذاتَ يوم إذْ طلَع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشعَر لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ولا يعرفهُ منَّا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأسندرُكبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فَخِذَيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللهُ وأنّ محمداً رسولُ الله ، وتقيمَ الصلاةَ ، وتُؤتِيَ الزكاةَ ، وتصومَ رمضانَ ، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان. قال: أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيْره وشرِّه . قال : صدقتَ . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبد اللهَ كأنك تَراهُ ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : ما المسئولُ عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها . قال : أن تلد الأمةُ ربتَها وأن ترى الحفاةَ العُرَاةَ العالةَ رِعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . ثم انطلق . فلبثتُ مليًّا ، ثم قال : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلِّمكم دينَكم . أخرجه أحمد والخمسة إلا البخارى[1] [٩] .

(١) ص٦٢ج١ – الفتح الربانى . وص ١٣ج ١ تيسير الوصول (حقيقة الإيمان=

دلّ الحديث على أنّ الأحكام الشرعية علمية وعملية . فالعلمية ستة :

(الأول) الإيمان بالله ، وهو اعتقاد وجود الله تعالى متصفاً بكل كمال يليق بجلاله ، منزها عن كل نقص . وأنه قادر على إيجاد الممكن وإعدامه .

(الثانى) الإيمان بالملائكة ، وهو أن تؤمن بوجودهم ، وأنهم عباد مكرمون لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

(الثالث) الإيمان بالكتب ، وهو أن تصدّق بأنّ لله كتباً أنزلها على بعض رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام منها : القرآن وهو أفضلها أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . والإنجيل أنزل على سيدنا عيسى . والتوراة أنزلت على سيدنا موسى . والزبور أنزل على سيدنا داود . وصحف سيدنا إبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام .

= والإسلام) و (القدر) بفتحتين ، هو إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين فى ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به علم الله ، بخلاف القضاء فإنه تعلق الإرادة بالأشياء أزلا . وقيل فيهما غير ذلك . قال الأجهورى :

إرادة الله مع التعلق فى أزل قضاؤه فحقق
والقدر الإيجاد للأشيا على وجه معين أراده علا
وبعضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق فى الأزل
والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

هذا . ولما كان الإيمان بالقدر مستلزما الإيمان بالقضاء ، لم يتعرض له فى الحديث . و (أن تلد الأمة ربتها) أى سيدتها . وهو كناية عن كثرة اتخاذ الجوارى . فتلد الجارية بنتا أو ابنا من سيدها . والولد بمنزلة أبيه فى السيادة . و (العالة) بفتح اللام المخففة جمع عائل وهم الفقراء . و(رعاء) بكسر الراء جمع راع ويجمع على رعاة بضمها ، (والشاء) جمع شاة ، (ويتطاولون فى البنيان) أى يتفاخرون بطوله وارتفاعه . والمراد أن الأسافل يصيرون أصحاب ثروة ظاهرة .

(الرابع) الإيمان بالرسل ، وهو أن تؤمن بأنّ الله تعالى أرسل رسلا من البشر مبشرين الطائعين بالجنة ، ومنذرين المخالفين بالعذاب الأليم . متصفين بما يليق بهم من صدق وأمانة وتبليغ وفطانة ومالا يؤدّى إلى نقص فى مراتبهم العلية ، ولا إلى نفرة الناس عنهم ، منزهين عما لا يليق بمقامهم من كذب وخيانة وكتمان وبلادة . .

(الخامس) الإيمان باليوم الآخر . وهو يوم القيامة . وسيأتى أنّ أوّله من الموت أو البعث ، وبما اشتمل عليه من سؤال القبر وعذابه ونعيمه وبعث وحشر وميزان ونشر كتب الأعمال وتعليقها فى الأعناق وأخذها باليمين لقوم وبالشمال لآخرين ، وقراءة كلّ كتابه قال تعالى : (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)[1] وما إلى ذلك مما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

(السادس) الإيمان بالقدر كله ، أى التصديق والإذعان بأنّ كل ما قدّر الله فى الأزل لا بدّ من وقوعه ومالم يقدّره يستحيل وقوعه ، وبأنه تعالى قدّر الخير والشرّ قبل خلق الخلق . « روى » ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « كتب اللهُ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » أخرجه مسلم والترمذى[2] [١٠] .

وأنّ جميع الكائنات بقضائه وقدره . قال الله تعالى : (إنا كلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (٤٩) القمر . وقال : (وَخَلَقَ كلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (٢) الفرقان

---

(١) الإسراء : ١٣ و ١٤ (وطائره) عمله .

(٢) ص ٢٠٣ ج ١٦ نووى مسلم . و ص ١٧٤ ج ٣ تيسير الوصول (ذم القدرية) .

وقال : (وَمَا تَشَاءون إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ) (٣٠) الدهر . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنّ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « كل شىء بقدر حتى العجْزُ والكيسُ » أخرجه أحمد ومسلم[١] [١١] .

(وقال) طلْق بن حبيب : جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال : قد احترق بيتك. فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمْسىَ ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يُصبح : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابّة أنت آخذ بناصيتها . إن ربى على صراط مستقيم » أخرجه ابن السنى[٢] [١٢] .

وقد تكفّل بتفصيل هذه الأحكام :

علم التوحيد

التوحيد لغة العلم بأن الشىء واحد . وشرعا إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالا ويعرّف بمعنى الفنّ المدوّن بأنه علم يبحث فيه عن معرفة العقائد الدينية . وهى التى يجب على كل مكلف ذكر أو أنثى حرّ أو رقيق

---

(١) ص ١٢٢ ج ١ ـ الفتح الربانى ، وص ٢٠٤ ج ١٦ نووى مسلم (كل شىء بقدر) و (العجز) بالرفع عطفا على كل أو بالجر عطفا على شىء . والمراد به البلادة والتسويف فى الأمور ، والكيس ضده ، وهو الحذق والنشاط فى الأمور .

(٢) ص ١٣٠ ج ٣ الأذكار النووية .وبأسفلها الفتوحات الربانية (ما يقال عند الصباح والمساء) .

أن يعتقدها . فيجب عليه أن يعرف الصفات الواجبة لله تعالى والمستحيلة والجائزة فى حقه تعالى . وأن يعرف الصفات الواجبة للأنبياء والرسل والمستحيلة عليهم والجائزة فى حقهم عليهم الصلاة والسلام . وأن يعرف ما جاء فى الكتاب والسنة من أحوال الموت والقبر وما بعدها . ومن لم يعرف ذلك فليس بمسلم ويخلد فى نار جهنم (والمعرفة) هى الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل (والواجب) الأمر الثابت الذى لا يقبل الانتفاء ككون الجسم متحركا أو ساكناً وكونه صغيراً أو كبيراً وكونه ناعماً أو خَشِنا . ونحوه مما لا بدّ للجسم منه (والمستحيل) الأمر المنفىّ الذى لا يقبل الثبوت ككون الجسم متحركا ساكنا أو طويلا قصيرا ، أو حيواناً جماداً فى آن واحد (والجائز) ما يقبل الثبوت والانتفاء ككون الجسم صغيراً فى وقت كبيراً فى وقت آخر ، وكونه قصيراً فى وقت طويلا فى آخر ، وكونه حياً فى وقت ميتاً فى آخر .

هذا . والكلام هنا فى ثلاثة أصول : إلهيّات ، ونبويات ، وسمعيات .

(١) الإلهيات هى ما يتعلق بالله تعالى من واجب ومستحيل وجائز

أ — الواجب فى حقه تعالى : يجب على المكلف أن يعتقد أنّ الله تعالى متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية وهى ثلاث عشرة :

(١) الوجود — فهو تعالى موجود بلا ابتداء قبل وجود جميع الحوادث من عرش وكرسىّ وسموات وسائر العالم (والدليل) على ذلك خلقه تعالى السموات ومافيها من الكواكب والملائكة ، والأرض ومافيها من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحار والأنهار والحيوانات والجمادات ، لأنّ الصنعة لابد لها من صانع

موجود . وقد قال الله عز وجل (ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إلٰهَ إلّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (٦٢) غافر . وقال تعالى (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ خَالِقِ السَّمٰوَاتِ والْاَرْضِ[١]) الأنعام وقال (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوّٰى) أى خلق كل شيء فسوّى خلقه . وقال (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) وقال (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً[٢]) الفرقان .ومن البدَهى أنّ موجد الشيء لايكون معدوماً ، لأنّ المعدوم لا يعطى الوجود .

(٢) القِدَم — ومعناه أنه لا أول لوجوده تعالى ، وأنه لم يسبقه عدم ، لقوله تعالى (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (٦٢) الزمر .إذ معناه أن كل شيء غير الله مخلوق لله ، فلا يجوز أن يكون غيره خالقاً له ، لأنه لو كان مخلوقا لكان محتاجا لغيره كيف وهو ذو الغنى المطاق . وفقر كل شيء إليه محقق ؟ (وعن عِمران) بن حُصَيْن رضى الله عنه قال : إنى عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه قوم من بنى تميم فقال « اقبلوا البُشْرى يابنى تميم » قالوا بشرتنا فأعطِنا ، فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا : قبلنا . جئناك لنتفقّه فى الدين ولنسألك عن أوّل هذا الأمر ما كان ؟ قال : كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السمواتِ والأرضَ وكَتَب فى الذكر كلَّ شيء » أخرجه البخارى[١] [١٣] .

---

(١) ص ٣١٧ ج ١٣ فتح البارى (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) و (اقبلوا البشرى) المراد بها أن من أسلم نجا من الخلود فى النار ثم يجازى على وفق عمله. وذكر بعضهم فى هذا الحديث « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ماعليه كان » وهي زيادة ليست فى شيء من كتب الحديث . ذكره العينى على البخارى . فى بدء الخلق (وكان عرشه على الماء) أى لم يكن تحت العرش إلا الماء الذى خلق قبله (وكتب فى الذكر كل شيء) . أى قدر كل الكائنات وأثبتها فى اللوح المحفوظ .

(٣) البقاء — ومعناه أنه لا انتهاء لوجوده تعالى ، وأنه لا يلحقه عدم ، لقوله تعالى : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) (٢٧) الرحمن ، وقوله : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ) (٨٨) القصص ، ولأنّ من ثبت قدمه استحال عدمه . فهو الأزلىّ القديم بلا بداية والأبدىّ الباقى بلا نهاية (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٣) الحديد .

(٤) مخالفته تعالى للحوادث — ومعناها عدم مماثلته لشىء منها لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال ، لقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (١١) الشورى ، ولأنه لو ماثل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها . والحدوث مستحيل فى حق الخالق عزّ وجلّ .

(٥) قيامه تعالى بنفسه — ومعناه أنه تعالى موجود بلا موجد وغنى عن كل ما سواه ، وأنه متصف بصفات الكمال منزّه عن صفات النقص ، لقوله تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ) (١٥) فاطر ، وقوله تعالى : (وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ) (٣٨) محمد ، ولأنه لو احتاج إلى شىء لكان حادثاً وحدوثه محال لما تقدّم فاحتياجه محال .

(٦) الوحدانية فى الذات والصفات والأفعال — ومعناها أنّ ذاته ليست مركبة ، وليس لغيره ذات تشبه ذاته ، وأنه ليس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، وليس لغيره صفة كصفته ، وأنّ الأفعال كلها خيرها وشرها اختياريّها واضطراريّها مخلوقة لله وحده بلا شريك ولا معين . قال الله تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (١٦٣) البقرة ، وقال : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) (٢٢) الأنبياء ، وقال : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (٩٦) الصافات ، وقال : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ

عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (٣) فاطر ، وقال تعالى : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أى قل يأيها النبى ـ لمن سألك عن صفة ربك جل وعلا ـ هو المعبود بحق المتصف بكل صفات الكمال ، الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، المقصود فى قضاء حوائج الخلق على الدوام ، الذى ليس بوالد ولا مولود ولا شبيه له ولا نظير .

(دلت) السورة على أمور : (ا) إثبات ألوهية الله تعالى المستلزمة لاتصافه بكل صفات الكمال كالعلم والقدرة والإرادة .

(ب) إثبات أحديته الموجبة تنزهه تعالى عن التعدّد والتركيب وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الخلقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة .

(ج) إثبات صمديته تعالى المقتضية استغناءه عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه فى الوجود والبقاء وسائر الأحوال .

(د) إبطال زعم من زعم أن له ولداً كاليهود والنصارى بقوله : (لَمْ يَلِدْ) لأن الولد من جنس أبيه ، والله لا يجانسه أحد ولا يجانس أحداً ، ولا يفتقر إلى من يعينه أو يخلفه لامتناع احتياجه وفنائه .

(ه) إثبات قدمه بقوله : (لَمْ يُولَدْ) أى لم يفصل عن غيره . وهذا لا نزاع فيه . وإنما ذكر لتقرير ما قبله إذ المعهود أن مالا يولد لا يلد .

(و) نفى مماثلة شىء له تعالى فى أى زمان كان « ومن زعم » أن نفى الكفء فى الماضى لا يدل على نفيه فى الحال والكفار يدّعونه « فقد غفل » لأن مالم يوجد فى الماضى لا يكون فى الحال ضرورة أن الحادث لا يكون كفئاً للقديم .

(٧) الحياة — وهى صفة قديمة قائمة بالذات العلية تصحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر ، وما إلى ذلك من الصفات اللائقة به تعالى (وحياته) ليست بروح . ودليلها قوله (اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ) (٢) آل عمران ، وقوله : (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ) (١١١) طه ، وقوله: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ) (٥٨) الفرقان .

(٨) العلم — وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود : واجباً كان أو جائزاً ، وبكل معدوم : مستحيلا كان أو ممكناً . فهو تعالى يعلم وجود ذاته وصفاته وأنها قديمة لا تقبل العدم . ويعلم أنه لا شريك له ، وأن وجود الشريك محال . ويعلم جواز حدوث الممكن وعدمه . ويعلم فى الأزل عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص منه . ويعلم أفعالهم وكلَّ ما يكون منهم . ويعلم أنه عالم بكل الأمور لا تخفى عليه خافية . قال تعالى : (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (١٤) الملك ، وقال : (إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللهُ الَّذِى لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً) (٩٨) طه . وقال : (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً) (١٢) الطلاق ، وقال : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) (٢٥٥) البقرة ، وقال : (هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) (٢٢) الحشر ، وقال : (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ) (١٩) غافر ، وقال : (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) (٧٥) الأنفال .

(وعن) ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفى يده كتابان ، فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » فقلنا : لا يا رسول الله إلا أن تخبرَنا . فقال للذى فى يده اليمنى : « هذا كتابٌ من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ،